المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:05، العدد: 01 (2021)، ص431-444

مظاهر الدعم المغربي للمقاومة الشعبية الجزائرية 1832-1924
دراسة في الجانب الاجتماعي والعسكري

Aspects of Moroccan support for the Algerian popular resistance 1832-1924
a social and military study

سلوى لهلالي
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02 (الجزائر)
lahlaliselwa@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/02
تاريخ القبول:
2021/05/29

الكلمات المفتاحية:
- ✓ صدمة الاستعمار
- ✓ المهاجرون الجزائريون
- ✓ الدعم المغربي

الملخص:

تتناول هذه الدراسة التاريخية الدعم المغربي للمقاومة الشعبية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية، حيث أدت صدمة الاحتلال الفرنسي في الجزائر إلى قيام عدة مقاومات من أجل التصدي للمحتل الفرنسي الذي قام بالسيطرة على الأرض الجزائرية، كما أثرت هذه الصدمة على الدول المجاورة للحدود الجزائرية خاصة المغرب الأقصى الذي أبدى موقفا رافضا للاحتلال، وذلك بتقديم يد المساعدة للجزائريين الذين هاجروا إليها بسبب القمع الاستعماري، فاستقبل المغرب عددا كبيرا من المهاجرين الذين استقروا في العديد من المناطق المغربية، كما قدم العديد من المساعدات لقادة المقاومة الجزائرية.

Article info

Received:
02/05/2021
Accepted:
29/05/2021

Key words:
- ✓ colonial surprise,
- ✓ Algerian immigrants,
- ✓ Moroccan support,.

Abstract:

This historical study focuses on the Moroccan support for the popular Algerian resistance during the colonial period. The French occupation in Algeria led to the creation of several popular resistance groups in order to confront the French occupier who took control of the Algerian lands. This occupation had an impact on neighbouring countries, notably Morocco, which showed a position of rejection of the occupation, by providing precious help to the Algerians who immigrated there to escape colonial oppression. Morocco therefore hosted a large number of immigrants who settled in many Moroccan regions. It also provided numerous aids to the Algerian resistance led by brave sons of Algeria ended up in a final submission in 1912. Hence, several revolutions arose to resist the French protectorate in Morocco.

مقدّمة

لطالما كانت الجزائر ركيزة المشروع الفرنسي القاضي ببناء إمبراطورية فرنسا في شمال إفريقيا، وذلك بعدما استفادت من امتيازات اقتصادية مهمة خاصة في المجال التجاري، وهو ما فتح باب الأطماع من أجل تسريع عملية الاحتلال سنة 1830م، لتمدّ نظرها للدول المجاورة لها ففرضت الحماية على المغرب الأقصى سنة 1912م، من أجل استعادة شمال إفريقيا في إطار أمجاد الإمبراطورية الرومانية، هذه الهجمة الاستعمارية على شمال إفريقيا بداية بالجزائر ثم المغرب أدت إلى قيام فعل المقاومة في البلدين، وهو ما خلق مساندة بين الطرفين بسبب التقاطع التاريخي والحضاري والتقارب الجغرافي والروابط الاجتماعية، لذلك قدم المغرب الدعم للمقاومة الجزائرية إيمانا بوحدة القضية. هذا ويعتبر الدعم المغربي للمقاومة مرحلة مهمة في تاريخ الجزائر المستعمرة، ومن ذلك الوقوف على مدى مساهمة المغرب الأقصى في مساندة المقاومة الجزائرية سواء ما تعلق بالجانب الإنساني كمساعدة المهاجرين الجزائريين أو عسكري بدعم المقاومة الشعبية بالأسلحة، ومنه فإن إشكالية بحثنا هي: **ما هي بعض صور دعم المغرب الأقصى للمقاومة الجزائرية1832- 1924؟**

1. صدمة الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1830م

ربطت فرنسا العديد من العلاقات الودية مع الدولة العثمانية وهذا ما جعلها تتمتع بعلاقة جيدة مع الجزائر من خلال توقيع العديد من الاتفاقيات والتي بموجبها أعطيت عدة امتيازات للفرنسيين في الموانئ الجزائرية، بالإضافة إلى تقديم المساعدات الاقتصادية أثناء الثورة الفرنسية، ومن هنا بدأت فكرة السيطرة على الجزائر تختمر في أذهان صانعي القرار في باريس من خلال تأسيس إمبراطورية استعمارية مترامية الأطراف خاصة في شمال إفريقيا، فكانوا يخططون لاحتلال الجزائر وبسط نفوذهم على أراضيها من خلال مجموعة من المشاريع والمخططات كان أهمها مشروع بوتان زمن نابليون ولتنفيذ هذا المشروع اتخذت فرنسا من حادثة المروحة ذريعة للقيام بفعلتها هذا ما أدى إلى إحداث قطيعة تامة بين الطرفيين [1]. ولكن من المعروف أن دوافع الحملة الفرنسية الحقيقة التي أدت إلى تنفيذ المشروع الاستعماري هي الأطماع في خزينة الجزائر من أجل التخلص من ديونهم التي أصبحت الجزائر تطالب بتسديدها[2] . لذلك سارعت فرنسا لفرض الحصار البحري على السواحل الجزائرية منذ 1827م، وكان الهدف المرحلي الضغط على الداي بالإضافة إلى الخروج بأقل الخسائر أثناء المواجهة، وبعد حصار دام ثلاث سنوات نفذت مشروع الحملة ببعث أسطول بحري يتألف من 100 قطعة بحرية و500 سفينة تجارية، حيث انطلقت من ميناء طولون في 25ماي 1830م، ووصل إلى سيدي فرج في 19 جوان1830م، وقد كان هذا الأسطول بقيادة ديبرمون [3].

ومن جهة أخرى كانت الجزائر تحضّر لصد الحملة الفرنسية، حيث كانت أولى التحضيرات بالقرب من سيدي فرج ابتدأها صهر الداي بخطاب جاء فيه: "**يجب بناء الحصون على شاطئ البحر وتزويده بالمدافع حتى نمنع نزول الفرنسيين**"، كما قدموا خطة أخرى مبنية على إجبار الجيش الفرنسي إلى التوجه إلى وادي مازفران ومنه يقع أحد الأمرين: إما أن يهاجم الفرنسيون مدينة الجزائر، وإما أن يسيروا نحونا [4]. لكن لم يقع

ذلك فنزل الجيش الفرنسي بدون مقاومة تذكر في سيدي فرج أين حدثت اشتباكات متفرقة مع القوات الجزائرية، وقد تمكنت القوات الفرنسية من تحقيق الانتصار ووصلت إلى حصن الداي الذي يشرف على مدينة الجزائر، فوجد الداي نفسه مضطرا إلى إمضاء وثيقة الاستسلام في 04 جويلية 1830 وفي اليوم التالي تم فتح أبواب المدينة للجيش الفرنسي[5].

2. وقوع الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى1912م

احتل المغرب الأقصى موقعا استراتيجيا مهما بإشرافه على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي لهذا كان محل أطماع الدول المتنافسة لأنه ظل صامدا في وجه هذه الأطماع ومحافظا على استقلاله، إلاّ أن هذا الصمود انهار مع أطماع الدول الأوروبية التي شكلت خطرا عليه، خاصة بعدما تمكنت من السيطرة على الجزائر التي كانت خطوة مناسبة لاستكمال السيطرة على المغرب فقامت باتهامه بدعم المقاومة الجزائرية من خلال الضغوطات العسكرية والدبلوماسية تمثلت في:

1.2. موقعة إيسلي

كانت هذه المعركة بين المغرب الأقصى وفرنسا وقعت في 14 أوت 1844م أين تكبد الجيش المغربي خسارة وكانت أول هزيمة له في مساره العسكري.

2.2. توقيع معاهدة طنجة ولالا مغنية

إن المعركة التي خاضها المغرب الاقصى ضد الفرنسيين ترتب عليها عقد معاهدتين هما:

معاهدة طنجة والتي عقدت في 10 سبتمبر 1844م، وضمت مجموعة من البنود منها التي نصت على تحديد الحدود بين ممتلكات فرنسا والمغربي الأقصى، وتعهد السلطان المغربي على عدم تقديم أي مساعدة لغيره، بالإضافة إلى أنه بعد إمضاء هذا الاتفاق تتوقف الاعتداءات من الجهتين المغربية والفرنسية [6].

معاهدة لالا مغنية حيث عقدت هذه المعاهدة سنة 1845م بين السلطان المغربي والسلطات الفرنسية وقد حملت هذه المعاهدة اسم المكان الذي وقع فيه التفاوض "**لالا مغنية**"، والتي رسمت الحدود حيث نصت هذه المعاهدة على رسم الحدود الإقليمية والسياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى ابتداء من سواحل البحر المتوسط إلى منطقة ثنية الساسي. واعتبرت فرنسا أن اتفاقية لالة مغنية من جانب إطارها الدولي اتفاقية سلام بينها وبين المغرب[7]. هذا ما زاد من التنافس الأوروبي حول المغرب الذي شهد أشده عام 1880م، واستمر إلى غاية القرن العشرين أين تجلى مسعى فرنسا للسيطرة على المغرب الأقصى من خلال عقد العديد من الاتفاقيات مع القوى المنافسة لها، فأجرت العديد من الاتصالات مع الدول الأوروبية منها:

اتفاقية إيطاليا فقد تم توقيع هذا الاتفاق من أجل إنهاء الصراع القائم على الأراضي المغربية، حيث تمثل في مساعدة ايطاليا في السيطرة على ليبيا فتم توقيع اتفاق في 18 نوفمبر 1902م. ومع بريطانيا أبرم هذا الاتفاق في 08 أفريل 1904م الذي أفضى إلى اعتراف فرنسا بسيطرة بريطانيا على مصر مقابل اعتراف بريطانيا بأطماع فرنسا بالمغرب الأقصى.

كما قامت فرنسا بعقد اتفاق مع اسبانيا تم منح اسبانيا بموجبه الساحل المغربي المتمثل في سبتة ومليلية وهي مواقع جغرافية كانت خاضعة للإسبان منذ القديم وكان هذا بموجب اتفاقية عام1904م [8].

3.2. مؤتمر الجزيرة الخضراء1906م

لم تستطع هذه الاتفاقيات القضاء على ذلك الصراع المرير حول المغرب فقامت فرنسا بعقد مؤتمر دولي من أجل إيجاد حل حول ذلك، وتم عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء عام 1906م حيث شاركت فيه كل من المغرب، ألمانيا، النمسا، بلجيكا، اسبانيا، أمريكا، فرنسا، انجلترا، هولندا، البرتغال، روسيا والسويد، الذي توصل إلى عدة قرارات منها:

- الاعتراف بسيادة واستقلال السلطان المغربي.
- المحافظة على كيان المملكة المغربية تحت حماية فرنسا.
- الحرية التجارية للدول الموقعة على هذه القرارات [9].

4.2. اتفاق فرنسا مع ألمانيا

كشف مؤتمر الجزيرة الخضراء لألمانيا التي كان لها مطامع هي الأخرى في المغرب الأقصى بأنها أصبحت معزولة لذلك عقدت اتفاق في 08 فيفري 1909م اعترفت فيه لفرنسا بالمركز الممتاز في المغرب بسبب وجودها في الجزائر مقابل تنازل فرنسا لألمانيا عن ببلاد الكونغو، وبذلك وجدت فرنسا ضالتها في المغرب بعدما تغلبت على منافسيها في الاستعمار [10].

بعد أن تم الاتفاق الفرنسي الألماني وقف المغرب وجها لوجه ضد فرنسا كما أن الاتفاقيات التي كانت بين فرنسا والدول الأوروبية أزاحت عدة عقبات من طريق الفرنسيين، بالإضافة إلى وجود القوات العسكرية في بعض المناطق المغربية منح القوة لفرنسا لبسط سيطرتها، ولما كانت تسيطر على بعض المراكز الحيوية وبالتعاون مع اسبانيا استطاعت تطبيق مخططها لفرض الحماية على المغرب، فما كان على السلطان المغربي إلاّ قبول توقيع معاهدة الحماية في 30 مارس 1912م [11].

وبمقتضى معاهدة الحماية وافق السلطان على قيام فرنسا بالسيطرة على الأراضي المغربية للحفاظ على النظام والأمن إن اقتضت الضرورة، وعلى أن الحكومة الفرنسية والحكومة المغربية حريصة على تأسيس المغرب بنظام منتظم يعتمد على النظام الداخلي والأمن العام الذي يسمح بإدخال الإصلاحات وتطوير الوضع الاقتصادي للبلاد، ويمثل الحكومة الفرنسية لدى السلطان المغربي مقيم عام، كما أن الحكومة الفرنسية هي التي تمثل المغرب في الشؤون والمصالح الخارجية [12].

3. رد فعل المغرب الأقصى من الاستعمار الفرنسي للجزائر

1.3. الموقف الرسمي

إن العلاقة التي كانت تربط الجزائريين بأشقائهم المغاربة قوية، خاصة ما تعلق بالجانب الجغرافي والتاريخي وحتى الهوياتي، حيث كان لاحتلال الجزائر عام 1830م وقع كبير في منطقة المغرب العربي عامة

والمغرب الأقصى خاصة، حيث أبدى السلطان المغربي عبد الرحمان تعاطفا مع الجزائريين إثر خضوعهم للاحتلال الفرنسي إلا أن هذا التعاطف أظهر بعض التريث وعدم التدخل في الصراع بين الفرنسيين والجزائريين لأن الأتراك لم يتدخلوا في شؤون الجزائريين[13] .

إلا أن السلطان قدم العديد من المساعدات للجزائريين إثر هذا الاحتلال، فقد ساعد المهاجرين الجزائريين الذين أرسلوا له وفدا في عام 1830م بواسطة عامل وجدة من أجل اعتراف السلطان المغربي على أنهم رعاياه فوافق على استقبالهم وأظهر تعاطفه معهم حيث أوصى عامله بتطوان في خطاب لم بمساعدة الجزائريين، ومما جاء فيه: "**هم منا وإلينا ولا ندخر عنهم شيئا من المعونة إن أمكننا**" [14].

2.3. الموقف الشعبي

في الوقت ذاته كان الشعب المغربي يتابع أخبار الجزائريين وما يحدث معهم إثر احتلال أراضيهم، حيث استنكروا هذه الحملة وشجعوا المقاومة التي أعلنها الجزائريون، ولقد جاء في تقرير وجهه نائب القنصل الفرنسي بطنجة دولابورت إلى حكومته ما يلي: "**المغرب كله متجه بأنظاره نحو الهجوم على الجزائر والإشاعات من كل نوع تتردد كل يوم ويتقلب المغاربة نحو الخوف والأمل، والضربة التي ستنزل بها فرنسا هي التي ستدفع بالحكومة المغربية إما إلى موقف الاحترام أو الازدراء نحو القناصل، وكذلك بالسكان نحو النصارى**". وقد عكس هذا التقرير بأن الشعب المغربي كان له موقف رافض تجاه احتلال الجزائر، فقد أحسوا بمدى الخطر الذي يهددهم وقرروا مساندة إخوانهم، فهذه الأحداث كان لها كل الأثر في نفوس الطبقة الواعية التي دعت إلى التجديد والجهاد، فهذا محمد بن عبد القادر الكردودي الفاسي الذي ألف كتاب اسماه (كشف الغمة بيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة) والذي جاء فيه الحث على الجهاد وتبيان أن الفرنسيين استولوا على الجزائر، وسوف يمدون أنظارهم للمغرب الأقصى [15]. شارك هذا الموقف الشعراء المغاربة الذين نظموا العديد من القصائد إثر احتلال الجزائر فهذا محمد ابن محمد إدريس العمروي الفاسي قصيدة أنشدها عندما استولت فرنسا على مدينة تلمسان قائلا:

يا ساكني الغرب الجهاد الجهاد فالكفر قد شارككم في البلاد

إلى أن يقول:

واسطة المغرب قد حازها والأمر جد والبلاد في ازدياد

حوى الجـــزائر ووهرانها وراع حاضـــرا بذاك وباد

كما نضم محمد غريط قصيدة حول احتلال تلمسان قائلا:

مالي أرى جفن أهل الغرب وسنانا من بعدما أخذ الرومي تلمسان

كما شارك الشعراء في موقفهم العلماء فهذا عالم من علماء القرويين الكبار وشيوخها الأبرار الشيخ أو الحسن علي بن عبد السلام التسولي يكتب فتوى عظيمة يدعو فيها إلى ضرورة الجهاد والدفاع عن أرض

الجزائر الشقيقة قائلا: " **إذا نزل عدو الدين بأرض الإسلام أو قريبا منها مريدا الدخول إليها فإن الجهاد فرض عين على أهل البلاد. وعلى إمامهم شيوخا وسكانا، أحرارا وعبيدا، بل وإن على امرأة إن كان لها قوة ولا يتوقف قتالهم للعدو والنازل على مشورة الإمام...**" [16].

4. هجرة الجزائريين إلى المغرب الأقصى

شهدت الجزائر غداة الاحتلال الفرنسي خروج أعداد كبيرة من المهاجرين باتجاه المناطق المجاورة لها والبعيدة عليها، ومن أهم المناطق التي استقطبت المهاجرين الجزائريين المغرب الأقصى الذي شهد موجة من هجرات الجزائريين، وكانت هذه الهجرات نتيجة حتمية لسياسة الإبادة التي اعتمدتها القوات الاستعمارية وللممارسات القمعية ضد الأهالي، ولهذا كانت اتجاهات الهجرة الجزائرية نحو العديد من المناطق المغربية أهمها:

1.4. وجدة وتطوان

تعتبر مدينة وجدة من أهم المدن المغربية التي استقبلت المهاجرين الجزائريين منذ 1830م، حيث وصل إليها حوالي 300 مهاجر جزائري موزعة في كل الأحياء، وجلهم ينتمون إلى الطبقة المتوسطة أو الغنية لها ممتلكات متنوعة ومن الأسماء الشهيرة التي هاجرت واستقرت بالمدينة نجد: الحاج محمد بن محمد الصابوني والنكروفي [17]. كما كانت تطوان من أهم المدن التي استقطب المهاجرين الجزائريين واستقروا بها، حيث كان لهم إسهام في العمارة والتعمير فيها من خلال التفاعل الحضاري، كما ساهموا في توسيع المجال الحضاري وتنشيط الحركة الاقتصادية والصناعية والثقافية للمدينة، كما يظهر هذا الأثر على المستوى العسكري حيث أسهمت الهجرة الجزائرية في زيادة نسبة عدد الجيش المغربي في الثغر التيطواني وتنشيط الحرف ذات الصلة بالصناعة العسكرية، وقد استقروا في أحياء داخل مدينة تطوان منها: حومة الوسعة وحومة سوق الغزل وغيرها، وهذه الأحياء استقبلت المهاجرين الذين كانوا يمارسون العديد من المهن فمنهم أصحاب الحرف والتجارة كعائلة ابن الصيام وابن زكري وحسن الجزيري، والجدول التالي يوضح بعض أسماء العائلات التي كانت تقطن في حومة الطرانكات:

الدار، الاسم، اللقب	عدد أفرادها
دار الجيـــــار	03
دار الجزيـــــري	03
دار ابن عمـــــر	11
دار التلمســـاني	04
دار الجيـــــار	09
دار الحاج عبد الجليل بن عمر	06
دار بابا عصمـــان [18]	07

2.4. فاس

استمرت حركة الهجرة نحو المغرب الأقصى فكانت مدينة فاس محطة أخرى استقبلت العديد م العائلات والجماعات من معظم المناطق الجزائرية كتلمسان، معسكر، مستغانم ووهران حيث بلغ عددهم حوالي أربعة آلاف أو خمسة آلاف شخص، خصص لهم السلطان المغربي عبد الرحمان استقبالا حسنا وتضامن معهم ومنحهم شبه استقلال ذاتي [19]. لدينا هنا جدول يوضح عدد المهاجرين الذين قطنوا مدينة فاس سنة 1844:

أهل معسكر	أهل تلمسان
بيت الشرفاء المهاجيين الأيوبيين (محمد ابن الأخضر) بيت المشفين العرجيين بيت آل سيدي احمد بن علي بن عيسى الصقليين الحسينيين بيت الشرفاء الدحاويين الحموديين الادريسيين بيت السادات المراحيين (أبو العباس احمد بن الهاشمي) بيت المغراويين السليمانيين (محمد النجادي بن محمد الأعرج السليماني) الشرفاء المختاريين (علي أبو طالب عم الأمير عبد القادر) بيت الشبابيين الغريسيين احمد بن يخلف [20]	بيت العالم أبي محمد السيد عبد الله بن منصور بن عثمان الحوتي بيت بني الحاج البيدريين (السيد محمد بن سعد وابن عمه الحاج الداودي) بيت المرازقة العجيسيين بيت البو سعيديين الاشراف بيت الجليليين (أبو عبد الله محمد المجاوي) بيت القيسيين التلمسانيين بيت الغبريطيين المتيجيين بيت الهطالين بيت الزغاريين التلمسانيين بيت الشرفاء النجاريين بيت آل بنن عبد الله الشريف الحوني

3.4. مكناس ومراكش

جعل بعض المهاجرين الجزائريين وجهتهم مدينة مكناس حيث استقر بها عدد كبير منهم، كحال عائلة أولاد سيدي الشيخ التي اقتصرت عليهم الهجرة إلى هذه المدينة حيث يذكر بأن أولاد سيدي الشيخ القاطنين بمكناس وصلوا إليها بعدما اقتادوا من المغرب من بينهم سي علال بن الشيخ بن الطيب، سيدي الطيب الحاج العربي، كما هاجر إليها حوالي خيمتا للاستقرار بها من معسكر وعمالة وهران في الفترة الممتدة بين 1874-1877م. لم تقتصر هجرة أولاد سيدي الشيخ على هذه المنطقة بل تعدتها إلى مناطق أخرى كمراكش التي استقبلتهم بعد تعرض السلطان المغربي للضغوطات من طرف السلطات الفرنسية فقام بترحيل قبائل أولاد سيدي الشيخ إلى مراكش، بالإضافة إلى هؤلاء نجد عدة خيام جزائرية من منطقة وهران والبيض وعين الصفراء حيث بلغ مجموع الخيام المهاجرة 17 خيمة، كما هاجرت بعض الأسر المستغانمية نحو فاس ثم انتقلوا ليستقروا في مراكش منهم أولاد بن معزوز، ابن صابر، أولاد معمر، أولاد الجندوز وغيرهم [21].

4.4. طنجة، تافلالت، أسفي

لم تقصر الهجرة الجزائرية نحو هذه المناطق فقط بل توجد مناطق أخرى كطنجة التي استقرت بها الفئة المثقفة كعائلة الشاوش وعائلة الخيزاوي، بالإضافة إلى الهجرة التي كانت نحو القصر الكبير حيث هاجرت بعض الأسر الجزائرية نحو القصر الكبير للاستقرار به مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين التي كان أغلبها من مدينة الجزائر، مستغانم وتلمسان كما حظيت مدينة تافيلالت باستقبال المهاجرين الجزائريين حيث استقبلت حوالي 23 خيمة من الخيام الجزائرية من سعيدة، البيض ونجد كذلك مدينة أسفي التي استقبلت العديد من المهاجرين منهم بوجمعة العماني [22].

وقد كان للجزائريين الذين هاجروا للمغرب مكانتهم الاجتماعية ووظائفهم حيث تنوعت مهنهم فكان منهم الحرفيون الذين كانوا يمارسون الحرارة، الخرازة والقزازة وهم من ذو أصول عربية منهم سيدي أحمد، أحمد بن محمد وعمر بن الحاج محمد، عمر بن الحسن، كما مارسوا الخياطة فنجد منهم أحمد بن سلمان حمدان بن علي، ونجد حرفة الطبجيون وهم في غالبيتهم من المهاجرين الكراغلة وقد كان لهم دور في تشكيل الجيش المغربي خاصة بعدما أمر السلطان عبد الرحمان بإدماج هذه الفئة في المهن المختصة فيها والاستفادة من تجربتها وخبرتها في الميدان، كما نجد فئة الأعيان وهم من العلماء والأغنياء الملاكين والوجهاء، والقلاقطية وهم يمارسون مهن وحرف ذات صلة بالمؤسسة العسكرية المخزنية مثل الزنايدية، القزدرة، وصناعة الكراريط والوصفان ومنهم من يعمل في البحرية وهم المهاجرين الجزائريين ذوي الاختصاص المهني البحري ورؤساء البحر وهم فئة من ضمن المهاجرين ذوي المكانة الاجتماعية المحترمة الذين هاجروا إلى تطوان أسوة بالفئات الاجتماعية الأخرى ،وقد كان تمركزهم بهذه المنطقة لموقعها الجغرافي المتوسطي وشهرتها بالتجارة والجهاد البحري وصلاتها بالمدن المتوسطية والمدن الجزائرية بصفة خاصة منهم: أحمد بلجي، محمد بن سلوطي، ومنهم تجار العطارة وهم من عنصر عربي منهم الحاج عمر ومحمد بن محمد ونجد ضمن المهاجرين فئة العاملين في مهنة الشاوش وهي تدخل ضمن الوظائف الإدارية، ومن خلال هذه التركيبة الاجتماعية التي شكلها المهاجرون الجزائريون في المغرب أوجدت تنوعا مهنيا وحرفيا في المغرب[23].

5. المساندة المغربية للمقاومة الشعبية الجزائرية

كانت تربط الجزائر والمغرب الأقصى علاقات ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ: الجوار، اللغة، الدين، التاريخ المشترك، هذا ما جعل المغرب يتخذ موقفا من الاحتلال الفرنسي للجزائر والقيام بمد يد المساعدة للمقاومة التي قامت في الأراضي الجزائرية، حيث تلقت دعما ماديا ومعنويا خاصة المقاومات التي كانت على الحدود المغربية التي كان من بينها ما يلي:

1.5. مقاومة الأمير عبد القادر 1832-1847م

كان لمقاومة الأمير عبد القادر صدى كبير في كل أرجاء الجزائر وحتى خارجها لذلك تلقت في بدايتها دعما ومساندة من طرف السلطان المغربي وذلك لقرب المسافة بين حدودهما، بالإضافة إلى أن الأمير طلب

يد المساعدة من المغاربة فما كان على السلطان المغربي إلاّ تلبية طلب المساعدة، فأمده بالمساعدات البشرية والعسكرية حيث أرسل السلطان للأمير سنة 1833م حوالي 100 بندقية ومثلها من السيوف وكميات من الذخيرة، وتلقى سنة 1841م شحنة من الأسلحة، كما نذكر بعض مظاهر الدعم الاجتماعي من طرف سكان المغرب ونجد ذلك من خلال قوله:" **ولما وصلنا إلى إحدى القرى قابلنا وفد مهم على رأسه قائد المنطقة الذي سأل مانتوشي عما إذا كان هو سفير الأمير عبد القادر وعندما أجابه بالإيجاب ترجاه أن يقبل مبلغ أربعين دولار مساهمة منه في حرب الجزائر...** "[24]. كما أرسل السلطان عبد الرحمان في سنة 1834م إلى مدينة معسكر 100 بندقية وألف رطل من البارود، وفي سنة 1837م أرسل له أقمشة حريرية وبعض الأسلحة، وتم تزويده كذلك عن طريق الحاج الطاهر المكلف بإدارة الأعمال التجارية وشراء الأسلحة بـ 400 بندقية،200 مسدس، 300 سيف ووصل للأمير دفعة جديدة من المغرب تحتوي على 4 مدافع[25].

كما كان الأمير عبد القادر يتلقى الدعم من طرف السلطان المغربي خاصة خلال المعارك التي كان يقودها الأمير ضد العدو الفرنسي وسماع المغاربة بتلك الانتصارات التي يحققها، فبعد معركة المقطع عام 1835 والتي تكبد فيها الفرنسيون خسارة كبيرة، قام الأمير ببعث رسالة للمولى عبد الرحمان يخبره بالنصر على فرنسا الشيء الذي لقي استحسانا وإعجابا من طرف السلطان المغربي الذي بادر بالاعتراف بأن جهاد الأمير هو جهاد ضد عدو الدين وأنه يقوم بحماية المسلمين ونصرة الإسلام، فصار يمده بالخيل والسلاح والمال حيث قام بدعمه بالذخيرة: المدافع البارود والبنادق والرصاص، وكانت هذه الذخائر تجلب من جبل طارق إلى ميناء رشقون ثم توجه إلى معسكر ،إضافة إلى دعم السلطان المغربي للأمير عندما أراد فك الحصار عن حامية تلمسان حيث قدرت قوات الأمير بثمانية آلاف إلى تسعة آلاف جندي بالإضافة إلى بعض الفرسان المغاربة الذين قدر عددهم بثلاثة آلاف رجل أو أكثر، وقد جرت المعركة في منطقة سيدي يعقوب ونظرا للدعم المغربي لقوات الأمير عبد القادر لم تتمكن فرنسا من فك الحصار والانتصار على الأمير واتخذت حجة أنهى لولا الدعم الذي تلقاه الأمير من المولى عبد الرحمان لما تمكن من الاستمرار في المقاومة[26]. ونظرا للدعم الذي كان مقدما من طرف السلطات المغربية للأمير قامت فرنسا بتوجيه عدة احتجاجات للمولى عبد الرحمان عن طريق القنصل ميتان الذي قام بتحذير السلطان من تقديم الدعم للأمير عبد القادر، وطالبه بإقالة عامل مدينة وجدة وفرض عليه السماح لبعض السفن الحربية الفرنسية في أن ترسوا في ميناء طنجة.

كما قامت السلطات الفرنسية بالضغط على السلطة المغربية من أجل إيقاف الدعم الذي تقدمه للأمير إلا أن التقارير التي كان يقدمها الماريشال كلوزيل كانت تأكد تواصل المساعدات الحربية من ذخيرة ومؤن وسلاح، حيث ورد في تقرير للماريشال كلوزيل كتبه في 06جانفي 1837 قدم فيه قائمة من المؤن التي تلقاها الأمير عبد القادر من المغرب في الفترة الممتدة من أوت إلى ديسمبر 1836، وقد ضمت هذه القائمة مجموعة من الملابس التي قدرت بالمئات، خمسة عشر جملا محملا بالبارود وثمانين خيمة وألف بندقية، كما أشار في

تقريره بأن الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان كان يتبادلان الهدايا حيث بعث له في شهر نوفمبر من عام 1836 أنواعا من الحيوانات الباهظة وصندوقين مرصعين بالفضة[27].

وتتوفر العديد من الرسائل التي توضح كميات الذخيرة والأسلحة التي كانت تصل الأمير عبد القادر ففي رسالة مؤرخة في 06 ماي 1838م تبين وصول 6 ألاف رطل من النحاس الجيد وحمولة 70 جمل من الفحم الطبيعي، ومائة وثمانية من البغال جاءت من المغرب إلى المدية، وفي أول ماي وصلت مئة أخرى من البغال من المغرب مرورا بمعسكر لتتجه نحو المدية كانت تحمل ألبسة للجنود وأسلحة و600 سيف، 400 أو 500 بشطولة. وفي رسالة أخرى تأكد وصول حوالي أربعة مدافع، كما تم شراء 1500 أو 2000 بندقية وكمية كبيرة من المسدسات [28]. وفي رسالة قام ببعثها السلطان عبد الرحمان إلى عامله بتطوان محمد أشعاش يطلب منه شراء كميات كبيرة من الكتان لخياطة مائة خيمة كبيرة ثم نقلها إلى مدينة فاس، وسبب هذا الطلب يتضح من خلال قوله:" **فإن محبنا المرابط المجاهد السيد عبد القادر بن محي الدين، الذي كتب على صنع ثمانين خزانة للمجاهدين**".

بالإضافة للمساعدات التي كان يتلقاها الأمير من المغرب فقد كان يقوم باستشارة السلطان المغربي في بعض الأمور السياسية هذا ما نلمسه من خلال الرسالة التي بعثها الأمير يستشير فيها السلطان حول عقد صلح مع الفرنسيين وتوقيع معاهدة التافنة، لكن لما بلغ مسامع السلطان المغربي رفض ذلك وأجاب برسالة يحذر الأمير من إبرام أي صلح مع الفرنسيين، حيث أوصى الأمير قائلا:" **فينبغي أن تسد دونهم الأبواب وتقطع بهم الأسباب، حتى يقنعوا من الغنيمة بالإياب**". كما حصل الأمير عبد القادر على الدعم المعنوي من طرف السلطان عبد الرحمان حيث كان يخاطبه بالولد البار، وكانت الرسائل لا تنقطع بينهما، حتى أن السلطان كان يقدّره وذلك حسب كتاب أرسله السلطان للأمير خاطبه بالولد البار ودعا له بالنصر قائلا: " **أمدك الله بالعون واليقين**"[29].

لكن السلطان المغربي سرعان ما غير موقفه من اتفاقيه التافنة ووافق بشرط أن يكون صلحا يشمل كل المسلمين وإدراج الإقليم الشرقي بما فيه مدينة قسنطينة ضمن المناطق التي ينسحب منها الجيش الفرنسي، وللتعبير عن ثقته بالأمير قال السلطان عبد الرحمان:" **ومع هذا يرى الشاهد ما لا يرى الغائب، فما رأيت فيه الصلاح للمسلمين ارتكبه، فأنت بصيرة نفسك وبصيرة المسلمين، فانظر لهم بالنظر الذي ينجيك مع الله ومع عباده، ولا شك أنك إنما تأتي ما فيه الخير، وما تحمد عقباه**". وقد استمر السلطان على موقفه وقام ببعث خبر للأمير بأن يكمل الحرب ويقوم بنقض المعاهدة فأرسل له رسالة مع ستين فارس، أربعة مدافع وعشرة آلاف مثقال، استلمها وكيل عبد القادر الحاج طالب بن جلول الذي قام بصرفها في شراء ما يحتاجه الأمير من ذخيرة وأدوات حربية [30].

ومما يؤكد دعم السلطات المغربية لمقاومة الأمير عبد القادر هو قيام فرنسا بتعيين ليون روش في المغرب الأقصى من أجل إضعاف قوة الأمير الذي كان يحصل على الدعم من القبائل الريفية، فقام روش

بالعديد من الأعمال منها القيام بضم ولاية وجدة لإقليم الريف تحت قيادة ابن عبو من أجل محاصرة الأمير عبد القادر الذي كان يستمد قوته من المساعدات التي كانت تقدمها هذه القبائل له [31]. وليبرهن الأمير عبد القادر ارتباطه بالمغرب الأقصى قام ببعث بعض الأسئلة مع عبد الله السقاط لعلماء مدينة فاس ليفتوه حولها وقد كانت هذه الأسئلة حول العراقيل والعقبات التي كانت تواجه الأمير عبد القادر خلال محاربته للفرنسيين، حيث يقول:" **فقد ضاق الذرع وكاد القائم بأمور المسلمين لضيق الأسباب أن يتخلى عن الأمر ويطرح ثوب الإمارة والدرع**"، فقام السلطان المغربي بتكليف الشيخ علي بن عبد السلام مديدش التسولي للإجابة عن أسئلة الأمير التي كانت تتعلق أساسا بالأمور المادية مثل: مانع الزكاة، مانع المعونة، المتعاون مع الكفار، المتخلف عن الاستجابة للجهاد ومشروعية فرض المعونة، وقد حصل الأمير على الفتوى التي كان ينتظرها وكان الجواب طويلا ويشمل على خمس كراريس وزيادة، بالإضافة إلى قيام السلطان عبد الرحمان ببعث إمداد للأمير عبد القادر بالخيل والسلاح والمال [32].

إلا نّ التهديدات الفرنسية باحتلال المغرب اضطرت السلطان المغربي إلى رفض تقديم المساعدة للأمير ومنعه من الدخول إلى الأراضي المغربية، فحدثت القطيعة التامة بين الأمير عبد القادر والسلطان المغربي الذي خضع لمطالب الفرنسيين وأمضى معهم معاهدة نصت على اعتبار الأمير عبد القادر خارج عن القانون وتعهد السلطان بأن يطرده من بلاده أو يعتقله ويسلمه لفرنسا إن أمسك به، وقد حاول السلطان المغربي استدراج الأمير عبد القادر إلى مدينة فاس ليعتقله لكن الأمير تفطن لذلك واعتذر ثم عاد للجزائر للمقاومة، لكنه واجه العديد من المشاكل والصعوبات خاصة بعدما استمرت السلطات الفرنسية الضغط على السلطان المغربي الذي طلب من الأمير مغادرة البلاد أو تسليم نفسه، وخلال مطلع عام 1847بدأت الصعوبات تزداد وتشتدّ فقرر الأمير الاستسلام للفرنسيين في مدينة سور الغزلان وفق عهد أمان لكنه طلب ترحيله للمشرق[33].

2.5. مقاومة بوعمامة 1883-1908م

بعد القطيعة التي حدثت بين الأمير عبد القادر والسلطان المغربي، أعاد التاريخ نفسه مع الشيخ بوعمامة حينما التجأ إلى منطقة فجيج بالمغرب الأقصى في الفترة 1883م، الشيء الذي أزعج القوات الفرنسية التي أصدرت أوامر بضرورة إخراجه من المنطقة [34]، حيث أصبح وجود بوعمامة غير مرغوب فيه من قبل السلطان لذلك راسل سكان فجيج يطلب منهم عدم التعاون معه هذا ما أثر على قوته، ونتيجة الحصار المفروض عليه من الجبهة الفرنسية والمغربية، ونظرا لتقدمه في السن استسلم وطلب الأمان والعفو من السلطات الفرنسية التي أعطته الأمان فاستقر في ضواحي وجدة حتى وافته المنية عام 1908م [35]. حاول الشيخ بوعمامة التحالف مع ثورة الروقي بوحمارة الذي ثار في المغرب الأقصى لكن لم تسر بالمأمل المطلوب، إلى جانب المقاومة التي قادها الأمير عبد المالك الجزائري والذي انضم إلى مقاومة بوعمامة الذي كان يتواجد في تلك الفترة في منطقة فقيق وهذا حسب قول محمد بن الحسن الحجوي: " **فظهر له أن يذهب عند أبي**

عمامة الذي كان إذاك قرب فقيق لعله يمده بجيش يعمل به عملا يكون له به ذكر تاريخي فذهب إليه وأقام عنده". ومن الأسباب التي جعلت الأمير عبد المالك ينضم لبوعمامة لخصها عبد الوهاب بن منصور في قوله:" **فأوعزت فرنسا في هذا الوقت بالذات إلى عميلها عبد المالك (كذا) بن محي الدين...وأحد المغامرين الكبار، والجواسيس الدوليين المشهورين، بالدخول إلى المغرب لينفخ في نار الفتنة ويزيدها اتقادا، فجاء إلى مليلية... ومنها دخل إلى ناحية وجدة، فبقي يتجول فيها باحثا عن الأرض الصالحة لبذر بذور فتنته وفساده...إلى أن اهتدى إلى المنطقة التي يصول فيها بوعمامة ويجول، وهي منطقة الظهرا، فالتحق به فيها، وحاول أن ينشئ من أنصاره ومريدي زاويته جيشا نظاميا يتولى هو قيادته ويقتطع به الأراضي الواقعة بين الحدود الجزائرية المفروضة وبين نهر ملوية من مملكة المغرب منشئا فيها إمارة مستقلة في الظاهر موالية لفرنسا في الباطن**" [36].

وبعد فترة من التحضيرات العسكرية قام الأمير عبد المالك بإعلان الحرب على فرنسا وقاومها على أرض المغرب الأقصى في الفترة التي امتدت من 1914-1924 أي إلى غاية استشهاده على أرض المعركة بعد سلسلة من الانتصارات على القوات الفرنسية، وبعدما انتهت فرنسا من المقاومة الشعبية في الجزائر سهل عليها فرض الحماية على المغرب الأقصى واستطاعت تحقيق ذلك سنة 1912م.

خاتمة

من خلال ما سبق ذكره خلصنا إلى النتائج التالية:

أثرت صدمة الاستعمار على بلدان المنطقة المغاربية، كما تباينت شدتها من بلد لآخر حيث ركزت على الجزائر بتطبيق سياسة الاستعمار الشامل باعتماد القمع والهيمنة على الأرض والبشر إلى ظهور العديد من المواقف الرافضة للاحتلال خاصة من طرف الدول المجاورة لحدودها، وكان المغرب الأقصى أحد البلدان الرافضة للتواجد الفرنسي في المنطقة نظرا للتهديد الذي تشكله على كل البلدان، وبعد استكمال عملية احتلال الجزائر فكرت في السيطرة على المنطقة المغاربية وذلك بفرض الحماية على المغرب الأقصى عام 1912م، بعدما كان يحافظ على استقلاليته لقرون.

إن تعرض الجزائر للاحتلال الفرنسي جعل الجزائريين يقررون الهجرة وكانت الوجهة الأوفر الأراضي المغربية التي استقبلت العديد من المهاجرين الجزائريين، اللذين استقروا في مناطق مختلفة من أراضيها، حيث وفرت لهم كل المساعدات الأخوية وقد تباينت مظاهر الدعم المغربي للمقاومة الجزائرية بين المساندة الاجتماعية باحتواء المهاجرين الجزائريين ودمجهم في الاقتصاد المغربي من خلال السماح لهم بممارسة المهن والحرف المختلفة إلى جانب احتواء طبقة العلماء والفقهاء المهاجرين، كما قدم مساعدات عسكرية لحركة الجهاد الشعبي ضد الاستعمار خاصة مقاومة الأمير عبد القادر إلى جانب مساندة بعض القبائل لمقاومة الشيخ بوعمامة، غير أن الضغوط الفرنسية جعلت المغرب ينسحب من دور الداعم الأساسي للجزائر في هذه المرحلة

ويقطع الإمدادات عن المقاومة الجزائرية، غير أنه للحقيقة والتاريخ فإن الجزائريين كذلك دعموا اخوانهم في المغرب ومقاومة عبد المالك الجزائري أوضح صورة عن ذلك .

الهوامش:

(1) محمد بن جبور: **الاحتلال الفرنسي ومقاومة الأمير عبد القادر 1830-1847**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013، ص42.

(2) أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية،1830 -1900**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص123.

(3)نصر الدين سعيدوني: **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000، ص125.

(4) **مذكرات أحمد باي**: باريس 17 نوفمبر1971، ص11.

(5) نصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص126.

(6) إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، ج3، ط2، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، (د ت) ، ص ص 204-205.

(7) عز الدين بن سيفي: **العلاقات الجزائرية المغربية 1830-1912**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2018، ص ص 127-128.

(8) بوعزة بوضرساية: **سياسة فرنسا البربرية في الجزائر وانعكاساتها على المغرب العربي 1830-1930**، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص ص 272-275.

(9) فؤاد دياب: **المغرب الأقصى بين الماضي والحاضر**، كتب سياسة، الكتاب 141. (د ت)، ص ص 36-37.

(10) داهش محمد علي: **صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار –محمد بن عبد الكريم الخطابي–**،ط1، دار الكتب والوثائق، بغداد، 2020، ص34.

(11) J.Goulven: **La France en Maroc Vingt cinc ans de protectorat 1912-1936 ,** Paris, 1937, p12.

(12) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص187.

(13) محمد العربي معريش: **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1290-1315هـ/1873-1894م**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1989، ص26.

(14) أبو بكر القادري: **مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930-1940، ذكريات ومواقف وأحداث**،ج1، ط1، 1992، ص ص 14-16.

(15) محمد المنوني: **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج1، ط1، مطبعة الأمنية، الرباط، ،1973، ص ص 20-22.

(16) أبو بكر القادري: المرجع السابق، ص 18.

(17) إسماعيل مولاي عيد الحميد العلوي: **تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد**،ج1،ط1، وجدة، 1985، ص 110.

(18) بوهليلة إدريس: **الجزائريون في تطوان خلال القرن 13هـ/19م، مساهمة في التاريخ الاجتماعي المغربي**، ط1، مطبعة الهداية، المغرب، 2012، ص ص 110-115.

(19) روجي لوطورنو: **فاس قبل الحماية**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، ص293.

(20) محمد أمطاط: **الجزائريون في المغرب بين سنتي 1830-1962،مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر**، تق: محمد كنبيب، ط1، دار أبي قراق، الرباط، 2008، ص47.

(21)محمد السعيد قاصري: **المهاجرون الجزائريون ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي في المغرب الأقصى 1830-1930**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 2009، ص ص167-170.

(22) المرجع نفسه، ص 192.

23) بوهليلة إدريس: المرجع السابق، ص ص 94-102.

(24) **مذكرات الكولونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841**، تر وتع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981، ص ص28-29- 70.

(25) عبد القادر سلاماني: **الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة 1832-1847**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2009، ص30.

(26) محمد بن جبور: المرجع السابق، ص ص 159-161.

(27) المرجع نفسه، ص ص162-167.

(28) Geoves Yver: **Correspondance du Capitaine Daumas. Consul a' Mascara 1837-1839.collection de documents inèdits sur l'histoir d'Algèrie aprè 1830,** Alger, 1912, p p182-183-373

(29) ابن زيدان عبد الرحمان بن محمد السجلماسي: **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تح: علي عمر، ج5، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص82.

(30) محمد بن جبور: المرجع السابق، ص ص 167-175.

(31) يوسف مناصرية: "**مهمة ليون روش في المغرب ومحاولته الايقاع بين السلطان مولاي عبد الرحمن والأمير عبد القادر 1845-1847** "، مجلة التاريخ، عدد خاص، الشركة الوطنية، الجزائر، 1983، ص34.

(32) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية**، القسم 3، ج9، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ص ص45-46.

(33) يحيى بوعزيز: "**اللقاء التاريخي بين الأمير عبد القادر وحاكم مليلية الاسباني عام 1847**"، مجلة الثقافة، السنة13، العدد75، وزارة الثقافة، ماي –جوان 1983، ص ص 111-112. حول سوء علاقة الأمير بالمغرب. ينظر: اسماعيل مولاي عبد الحميد العلوي: المرجع السابق، ص – ص 146-154.

(34) **Confirmation d'un Télégramme état-major, 2ème Bureau 08/09/1883.**

(35) يحيى بوعزيز: المرجع السابق ص ص 111-112.

(36) قاصري محمد السعيد: "**الأمير عبد المالك الجزائري وثورته في المغرب الأقصى 1868-1924**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017، ص ص 41-44.